

الأمد 26-06-2011

1395 - كيف تجتمع وعى الشباب، وكيف يعاد تشكيله؟ (من 1 و 2)

تعتة الوفد

لم يعد يكفي أن أتأمل الجارى دون أن أبحث عن كيف تشكل هذا العقل الجمعى لهؤلاء الشباب عبر تلك السنين، عثرت على مجموعة لى من القصص التى أعتبرها "قصصا سياسية"، كنت قد كتبتها فى الدستور فى زاويتي "تعتة"، وقبل ذلك فى الأهرام بعنوان "مقال فى قصة"، وتصورت - مرة أخرى - أن مثل هذه الكتابات، من غيرى ومئى، قد ساهمت فى تشكيل هذا الوعى الغاضب الذى فجر هذا الإبداع الجمعى، حضرى تسأؤل يقول: ماذا لو التقيت بشباب هذه القصص، أو ذويهم الآن؟

الجزء الأول: نص القصة القديمة:

بتاريخ (21 - 11 - 2006) "العروسة والبورصة"

(1)

قالت البنت وقد وضعت عروستها الضخمة بجوارها: "الكنى أحب ربنا أكثر"، قال أبوها: وأنا أحبه كثيرا جداً، فمن أدراك أنك تحبينه أكثر، قالت، لأنه يحبني أكثر، قال: ومن أدراك أنه يحب أكثر، قالت: لأنه لا يخيفني أبداً، صمت أبوها، شعر أنه تعزى فجأة، فغمره خوف محيط، خوف من كل شئ وخاصة من الموت جوعاً هو وأطفاله. للمم نفسه بسرعة، وقال لها فى غيظ: "لكن لا بد أن تخافه حتى لا نعصاه، قالت البنت: أنا أخاف أن أعصاه، لكننى لا أخافه هكذا، قال لنفسه: هكذا ماذا؟ "كيف عزفت؟".

(2)

حين قالوا له إن الفائدة تتناقص باستمرار، وأن التضخم يزيد باستمرار، لم يفهم الجملة الثانية، وسأل الناصح، فما رأيك؟ قال له: عليك بالبورصة. قال: يعنى ماذا؟ قال يعنى تشتري أسهماً فى شركة، فتصبح شريكا لواحد ناصح يفهم فى هذه الأشياء، هو ومن معه، يصعدون تصعد معهم، يهبطون تهبط معهم، قال فى انزعاج: يهـ . . ماذا، قال: "يهبطون"، قال ومالى أنا؟ لماذا أهبط معهم؟ قال الناصح: لأنك تصعد معهم، أنت شريك، هذا هو الحلال بعينه، قال للناصح: إنه شقى فى

الغربة ثلاثاً وعشرين عاماً بما يوازي ثلاثة قرون ونصف مما تعودن، كلها صبر ومثلة، وأنه لم يفتق بعد من الخلال الرياني. قال الناصح: "آن الأوان أن تجعل رأسك برأس "أجعص جعيس". قال: أهكذا؟ قال الناصح: أنت حر. قال الرجل "حر" يعني ماذا؟ قال الناصح: يعني تتعامل في سوق حرة، عرض وطلب، وأنت وشطارتك، سأل: يعني ماذا؟

(3)

سألتهأ أمها عن عروستها التي كانت - برغم سنها- لا تنام إلا وهي في حضنها، فتصنعت أنها لم تسمع، فأعادت الأم السؤال، فقالت البنت: "ضاعت"، سألت الأم وهي تغمز بعينها: هل استعارتها صاحبتك؟، ردت البنت مرتبكة: قلت لك أنها ضاعت، قالت الأم: كيف ضاعت يا حبيبتي وحجمها يكاد يفوق حجمك؟ قالت البنت وهي تنظر إلى تحت السرير: "لا أعرف". التقتطأ أمها اتجاه النظر، وحاولت ألا تلاحظ البنت أنها رصدت نظرتها.

(4)

كان قد قرر ألا يعيش نفس الخسرة مهما فرضها قَدَر اليورصة الذي لم يفهمه أبداً، خسر مدخراته بلا تفسير!! الأولاد لهم ربهم، لم يعد يستطيع، نظر إلى النيل أمام سمراميس وقال له: أنا قادم"، لكنه بدلا من أن يسير إليه تذكر- فجأة- علاقته المحدودة بها، فانفض وكأنه صحا من نوم عميق، واستدار رأيه، فمساره، 180 درجة، وكر عائداً في اتجاه ميدان التحرير وهو يلوح بيده للنيل ساخرا: "أسف، انتظرن بعد الفاصل".

مع أنه لم يشربها في حياته إلا مرتين مختلفتين (هناك حيث هي ممنوعة 100%) : الأولى حين ضغطوا عليه للمشاركة في تذوق سائل حَمْرؤه في المنزل تحت قطر الندى، ارتشف منه رشفة نزلت في زوره كالنار، ولم يكمل، والثانية حين ضغطوا عليه مرة أخرى بنوع آخر طيب النكهة، فاستطعمه حتى لم يعرف متى يتوقف، لكن المصيبة أن النار لم تشتعل في زوره، بل في "كله": ليلتها: ضحك، ولعب، وبكى، وغنى، ونسى، وفكر، ورقص، ونام، لكنه في الصباح لم يستطع أن يرفع رأسه من الصداق. تاب وأناب، وأقسم ألا يقربها حتى يموت. قال لنفسه وهو متجه من ميدان التحرير: للضرورة أحكام، هي أحسن من أحضان النيل، هذا أوانها وليكن ما يكون، استراح وكأنه أتم المهمة قبل أن يبدأها، راح يدندن بيقين: "الشيء هو الحل": إلى شارع سليمان باشا فميدان التوفيقية، ولم يعرف كيف وجد نفسه في سريره صباحا.

(5)

انزعجت البنت حين وجدت لعبتها فوق السرير لا تحته، فرحت وخافت وترددت فلحقتها أمها تطبها قائلة: أنا أحبها مثلما تحبينها يا حبيبتي، فلماذا أخفيتها. قالت لها: خفت

أن أعبدها من دون "الله" فزعت أمها حتى كادت تقفز؟ من قال لك هذا الكلام يا بنت؟ قالت: عمى "بيومى"، أخافنى حتى حفظت ما قاله، قالت الأم: متى؟ قالت: حين زارنا، ولم يجد أبى، وضيظى أداعبها، وأكلّمها، صمتت الأم ذاهلة ثم عادت تقول: فرُحيت أنت تردين ما قاله كالبيغاء، قالت: عمى أخافنى، فخفت خوفاً من الذى يخافه أبى، أنا ما زلت أحب ربنا أكثر يا أمى، فلماذا أخاف خوفهما؟.

صمتتا وطل الصمت حتى رفعت البنت رأسها وقالت: لماذا سيسافر أبى ويتركنا لعمى بيومى يخيفنا هكذا، قالت أمها: أبوك يسافر لأنه يخاف أن تجوع يا حبيبتي.

(6)

راحت الأم تحكى لزوجها ما كان وهى تعد له حقيبة السفر. قال لها: لا تنزعجى، عام واحد فقط، قالت: نفس الكلمات أسعها للمرة الرابعة والعشرين. قال لها: أنا شبت دلا، قالت: وهذا أيضا سمعته كل مرة.

الجزء الثانى (كتب بتاريخ: 2011/6/17): **ماذا حدث، ويحدث، "الآن" بعد 25 يناير؟**

قالت البنت لأخيها: ثم ماذا؟

قال أخوها: سوف نكمل

قالت: نكمل ماذا؟

قال: الثورة، أعنى نكملها لتكون ثورة

قالت: أخشى ألا نكون قُدْر ما بدأناه، أصبحنا جموعا متداخلة بلا دولة

قال: أى شىء هو أفضل مما كنا فيه، هل تريدان أن يرجع الرئيس ليعود الأمن إياه، ونتفرغ نحن للتسالى

قالت: رئيس ماذا، وأمن ماذا؟ هل جننت؟

قال: إذن ماذا؟

قالت: أريد ألا يمس أحدهم عروستى، لا البلطجية، ولا الأوصياء الذين يقفون بينى وبين ربنا

قال: ألم يئن الأوان أن تكبرى، ألا تذكرين اصرارك على اصطحابها إلى بيتك حين تتزوجين؟

قالت: أخاف أن يرموها

قال: حذار، هذا كلام من يشوهونهم باعتبارهم "الفزاعة"، هذه لعبة الرئيس ورجاله، وقد فشلت

قالت: أنا مالى بهم، أو به، أنا أخشى عليها من الرجم
قال: الله يخرّب بيتك، رجم ماذا؟ لا هى محصنة زانية، ولا هم يرمون، كفى استعباطاً، لملى نفسك ودعينا نكمل

قالت: نكمل ماذا ؟ جاءك نيّلة، أنت لا تعرف ما ينتظرنا

قال: بل أعرف

قالت: تعرف ماذا؟

قال: لا أعرف

قالت: هل رأيت خيبتك البليغة ؟

قال: ليست أكبر من خيبتك، ولكن بالله عليك: هل هذا وقت تبادل السباب

قالت: ... إذن هو وقت ماذا؟

قال: وقت العمل

قالت: عليك نور!! لقد وجدت عملاً وسوف أشغله عن قريب

قال: ألف مبروك، اسم الله عليك، ومن هذا المخطوظ الذى سوف تتفجر قدراتك فى رحابه؟

قالت: صديقك الجاسوس "جراييل"، قبلت أن أتعاون معه لحساب العدو، لكننى سوف أخدعه وأعمل لحساب بلدى

قال: اسم الله اسم الله، وما اسم المسلسل إن شاء الله؟

قالت: أليس هذا أفضل مما تفعلون

قال: نحن لا نفعل شيئاً

قالت: هأنذا قلتها

قال: كأنك تشاركين فى هزيمتنا من داخلنا، ماذا يتبقى إذن ؟

قالت: عليك أن تختار ما يتبقى: إما "العدالة والخرية"، أو "الديمقراطية المهلّبية"

قال: وأنت، يتبقى لكى "الخيبة القوية"

قالت له: أنا أكره أمريكا وأشم رائحتها وراء الأحداث

قال: وأنا أكره إسرائيل ويصيبنى الغثيان من مجرد سيرتها

قالت: اتفقنا

قال: على ماذا؟

قالت: على أن نبدأ الإعداد للثورة القادمة

قال: ثورة على الثورة؟!!

قالت: بل هي هي، حين نحميها من القراصنة، ومنأ

قال: القراصنة، نعم، ولكن لماذا منأ ؟

قالت: قلت لك، الشركاء في الجريمة كثيرون، والاتفاقات سرية

قال: ولكننا يقظون لهم تمام التمام

قالت: لا يا شيخ?!!!

قال: والمصحف

قالت: خل المصحف لأصحابه

قال: نحن أصحابه، كلنا أصحابه، ألم تتعلمي من خيبة هذه الطريقة "الفزاعية"؟

قالت: أنا أولى صاحباته، أنا أتعلم أحسن منك، على فكرة سمعت أن والدنا أنها عقدت وهو الآن يرتب أموره للعودة النهائية

قال: عودة؟ يا نهارا أسوادا ونأكل من أين؟

قالت: من فتات موائد الأمريكان

قال: ملعون أبوهم

قالت: مليون مرة، ولكن هل هذا يغني عن الاستعداد لهم، والإعداد للثورة القادمة؟

قال: لا أعرف

قالت: أنا أعرف!!!